المقصد الثاني
فى تفسير الآية و ما يتعلّق بها من التأويل و اللطائف

﴿اَللّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الحىُّ القَيّومُ﴾ (البقره(٢) : ٢٥٥) ﴿الله﴾ علَم لذات الموجود الواجب الجامع لجميع صفات الكمال.

و قيل: من الأعلام الغالبة.

و قيل: علَم لذاته تعالى لا باعتبار الاتّصاف بالصفات و لا باعتبار عدم الصفات بها؛ فإنّ كون الذات بلا اعتبار الاتّصاف بالصفات غيرَ معقول للخلق لا ينافي ذلك، و إنّما ينافيه كون الذات غير معلوم مطلقاً.

و قيل: اسم للموجود الحقّ الجامع لصفات الإلهيّة، المنعوت بنعوت الربوبيّة، المتفرّد بالوجود الحقيقي الذي كلّ موجود سواه غير مستحقّ للوجود بذاته، بل إنّما يستفاد الوجود منه، فهو في الدلالة على الذات جار مجرى الأعلام.

و كلّ ما ذكر في اشتقاقه تعسّف.

﴿لا إله إلاّ هو﴾ أي هو المتفرّد بالألوهيّة.

﴿الحيّ﴾ و هو الذي يصحّ أن يعلم و يقدر، و كلّ ما يصحّ له فهو واجب لذاته لا يزول عنه؛ لامتناعه عن الاتّصاف بالقوّة.

﴿القيّوم﴾ الذي يقوم بنفسه و يقوم به غيره، فلا يتعلّق قوامه بشيء، و يتعلّق به قوام كلّ شيء، و ذلک غاية الجلال و العظمة.

﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَومٌ﴾ هي فتور يتقدّم على النوم، أي تأخذه سنة بلا نوم و لا نوم بلا سنة، فلا يستغني ذكر أحدهما عن الآخر. و في تقديم السنة على النوم مراعاة ترتيب الوجود، و هو كالمبيّن ﴿الحيّ القيّوم﴾ و لهذا لم يعطف.

﴿لَه ما فى السَّموات وَما فى الأَرض﴾ ملكاً و خلقاً، تقرير لقيّوميّته و تفرّده في الألوهيّة.

﴿مَنْ ذَا الَّذى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بِإذْنِه﴾ بيان لعظمته و جلاله، و ردّ لزعم الكفّار من أنّ الأصنام شفعاء.

﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْديْهِمْ﴾ ما قبلهم، أو أمور الدنيا، أو ما يعلمون، أو ما حضر عندهم. و الضمير لـ﴿ما في السَماوات و الأرض﴾ فإنّ فيهم العقلاء.

﴿وَ ما خَلْفَهُم﴾ و ما بعدهم، أو أمور الآخرة، أو ما لا يعلمون، أو ما غاب عنهم.

﴿وَ لا يُحيطُونَ بشَيء منْ علْمه﴾ : من معلوماته ﴿إلاّ بما شاءَ﴾أن يعلموا .

﴿وَسِعَ كُرْسيُّهُ السَّمواتِ وَ الأَرْضَ﴾الكرسيّ العلم ، أو الكرسيّ المشهور ، و هو جسم تحت العرش . و قيل : المُلك و السلطنة .

﴿وَ لا يَؤُدُهُ﴾ : لا يثقله ﴿حِفْظُهُما﴾ : السماوات و الأرض ﴿وَ هُوَ العَلىُّ﴾ : المتعالي عن الأنداد ﴿العَظيمُ﴾ كلّ شيء دونه حقير . هذا ما يتعلّق بالتفسير .

و أمّا ما يتعلّق بالتأويل و اللطائف، فهو أنّ في تقديم اسم اللّه تعالى إشارة إلى أنّ من عرف هذا الاسم حقّ العرفان عَرَفَ ذاته بنعت الكمال ، موصوفاً بجميع صفات الجلال و الجمال ، فلا يحتاج إلى تعريفه بذكر أوصاف كماله ، كما قال اللّه تعالى : ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ (الأنعام(۶) : ۹۱) ، و لا حاجة إلى دلائل وجوده و صفات جلاله ، كما قال اللّه تعالى : ﴿أفِي اللّه شَكٌ فاطر السّموات﴾(ابراهيم(۱۴) : ۱۰) .

وَ لكن لمّا دعت الضرورة إلى تفصيل صفاته من التوحيد و التنزيه و التقديس ؛ لقصور عقول الأمّة ، قال اللّه تعالى : ﴿لا إلهَ إلاّ هُوَ الحَيّ القَيُّوم﴾ ، مفصّل بذكر جميع أنواع الصفات ؛ إذ الصفات تنحصر في أربعة أقسام ؛ لأنّها إمّا أن تكون حقيقيّة أم لا ، و الثاني إمّا أن تكون سلبيّة أو إضافيّة ، و الحقيقيّة إمّا أن تعرضها الإضافة أو لا . فأشار إلى الحقيقيّة المحضة بقوله : ﴿الحَيّ﴾ أي الحيّ المطلق الذي حياته عين ذاته ، و ما عداه حيّ بحياته ، فحياته حقيقيّة و حياة غيره إضافيّة .

و أشار إلى الحقيقيّة التي تعرضها الإضافة بقوله : ﴿القيّوم﴾و هو القائم بذاته المقوّم لغيره ، فلا قيام لما عداه إلاّ به ؛ إذ كلّ موجود غيره بوجوده موجود و بنفسه معدوم ، كما قال أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام : «مع كلّ شيء لا بالمقارنة»[1] و كيف يقارنه شيء و هو به هو ، و بدونه لا شيء محض .

و أشار إلى السلبيّة بقوله : ﴿لا تأخُذُهُ سِنَة﴾أي لا يعتريه النعاس كما يعتري الأحياء من غير قصدهم ؛ لأنّ ذلك لا يكون إلاّ لمن كانت حياته عارضيّة ، فتغلبه الطبيعة ؛ طلباً للراحة والإبدال عن تحليل اليقظة ، فأمّا مَن حياته عين ذاته فلا يمكن له ذلك ، و كيف يعتريه السنة التي هي من مقدّمات النوم و آثارها؟

و﴿لا نوم﴾له و إلاّ لما كانت حياته ذاتية ، فامتنع عليه النوم ؛ لمنافاته كون الحياة عين

۱ . نهج البلاغه ، خطبهٔ اول

الذات. و إذا كانت ماهيّة النوم ممتنعة فلا سنة له؛ لأنّها من مقدّماته، كما يقال: لاضحک لغير الناطق؛ إذ لا تعجّب له، فهو بيان لـ ﴿**الحيّ القيّوم**﴾.

و أشار إلى الإضافيّات بقوله: ﴿**لَهُ ما فى السّموات و ما فى الأرض**﴾ و هو معنى الملكيّة و المالكيّة و﴿**ما في السماوات**﴾ هو ما في الجهة العلويّة من الروحانيّات، و«ما في الأرض» هو ما في الجهة السفليّة من الجسمانيّات، أي له الملک مطلقاً؛ لقيوميّته.

و فيه دلالة إلى أنّ جميع الخلائق تحت تصرّفه، و نواصيهم بيده، و يفعل بهم ما يشاء، فهو المؤثّر في الكلّ، القاهر لهم، و لهذا جعل قوله تعالى: ﴿**له ما فى السّموات**﴾ آخر الصفات التي هي مصادر الأفعال؛ ليتوسّل بها إلى معنى التهديد و الغلبة و القهر.

﴿**مَنْ ذا الّذى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بإذْنه**﴾أي دَعُوا الوسائل، و اتركوا الوسائط؛ فإنّ العلويّين الذين ترجون شفاعتهم كلّهم تحت قَهره و سلطنته، مقهورون، مربوبون، و بحياته أحياء، و بقيّوميّته باقون، قائمون، فكيف يتكلّم بغير تيسيره و إذنه و إرادته؟ هو له و به لا بنفسه، و لا فعل له إلاّ به.

ثمّ زاد في التهديد: ﴿**يَعْلَمُ ما بَيْنَ أيْديْهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ**﴾ أي يعلم ما سلف من أحوالهم و ما سيأتي و ما قبلهم و ما بعدهم من الحوادث، أي علمه محيط بالأشخاص و الأزمنة و الأفعال و الأحوال، فيعلم المستحقّ للشفاعة.

﴿**وَ لا يُحيطُونَ بشَىء منْ علْمه إلاّ بما شاءَ**﴾ إذ لا علم إلاّ له بالذات كالحياة، فهو العالم مطلقاً، و كلّ ذي علم فبعلمه عالم، و لا يعلم من علمه إلاّ بما شاء، كما قال الملائكة ﴿**سُبْحانَکَ لا علْمَ لَنا إلاّ ما علَّمْتَنا**﴾(البقره(٢): ٣٢) أي بتعليمک علم من علم شيئاً، فلا عالم في الحقيقة إلاّ أنت.

﴿**وَسعَ كُرْسيُّهُ السّموات وَ الأرْضَ**﴾ أي علمه؛ إذ الكرسيّ محلّ العلم الذي هو القلب، و هو في اللغة عرش صغير لا يفضل عن مقعد القاعد، شبّه القلب؛ لكونه محلاً لتجلّي الحقّ سبحانه بحيث لا يفضل عنه شيء، بل يتلاشى في تجلّيه، و يوجد بوجوده، لم يفضل شيء منه عنه، و لهذا قال الحسن: «كرسيّه عرشه»[1] مأخوذاً من قوله عليه السلام: «قلب المؤمن عرش اللّه»[2]، و قال طيفور[3] ـ رحمه اللّه ـ: «لو وقع العالَم و ما فيه ألف ألف مرّة

١. مجمع البيان، ج١، ص١٦٠

٢. بحارالأنوار، ج٥٨، ص٣٩، ح٦١

٣. هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامى من معاريف شيوخ المتصوفة. رک: حلية الأولياء، ج١٠، ص٣٩؛ الرسالة القشريّة، ص٥٥

في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به»[1] و ذلك لعلمه بالحقّ و فناء الكلّ فيه.

و لمّا سلب العلم عنهم بالكلّيّة، و أثبت لهم بحسب المشيّة، أراد أن يثبت أنّهم علموا بعلمه تعالى الذي محلّه القلب، و هذا إذا تعلّق في المعنى قولُه: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ**﴾ بقوله: ﴿**إلاّ بما شاءَ**﴾ و إن تعلّق بقوله: ﴿**يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ و ما خَلْفَهُمْ**﴾فالكرسيّ هو القلب الكلّيّ الذي هو اللوح المحفوظ المشتمل على صور جميع الموجودات كلّية و جزئيّة، و العرش هو الروح الكلّيّ الذي هو أمّ الكتاب المشتمل على كلّياتها، و مثالهما في المشاهد هو الفلك الأعظم و فلك الثوابت المحيط بالسماوات السبع و ما فيهنّ.

و لمّا كان معنى القيّوميّة في المالكيّة و العلم المحيط بجميع الأشياء دَلَّ على حفظهما، أكّد ذلک بقوله: ﴿**وَ لا يَؤُدُهُ حفْظُهُما**﴾و هو لأنّ الثقل إنّما يلزم أن لو كان لهما وجود لغيره و لا وجود لهما إلاّ بوجوده، و هما بلا هو لا شيء محض، فكيف يثقله؟! إذ القيوميّة هي إقامة وجودهما بوجوده، فلا وجود لهما إلاّ به.

و من قوله: ﴿**لا إله إلاّ هُوَ**﴾ إلى قوله: ﴿**مَنْ ذَا الّذى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بإذْنِه**﴾ يلزم معنى القيّوم المطلق و انفراده به.

و من قوله: ﴿**يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْديهِمْ وَما خَلْفَهُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّموات وَ الأرضَ وَلا يَؤُدُهُ حفْظُهما**﴾ يلزم معنى العظمة المطلقة و انفراده به، فقال: ﴿**وَ هُوَ العَلى**﴾ أي لا عليّ إلاّ هو، لايعلوه شيء، و يعلو كلّ شيء بالغلبة و القهر و الإفناء العظيم الذي لايتصوّر كنه عظمته، و لايدركه إلاّ هو، و كلّ عظمة يتصوّر لغيره فهو رشحة من عظمته، و كلّ عظيم فبشيء من عظمته عظيم، و بالنسبة إلى عظمته فبغاية الحقارة، فالعظمة مطلقاً له دون غيره، بل كلّها له ليس لغيره فيها نصيب، و اللّه أعلم بحقائق كلامه.

---

١. جامع الأسرار، ص۴۴۴؛ الفتوحات المكيّة، ج۴، ص۱۱، باب ۴۰۵

الخاتمة

ففي خواصّ هذه الآية العظيمة

منها : ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله : «ما قُرِئَتْ هذه الآية في دار إلاّ هجر بها الشيطان ثلاثة أيّام ، و لا يدخلها ساحر و لا ساحرة أربعين يوماً ، يا عليّ علّم ولدك و أهلك و جيرانك ؛ فما أنزلت آية أعظم منها» .[1]

منها : ما روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال :

«سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و هو على أعواد المنبر يقول : «من قرأ آية الكرسي في دبر كلّ صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة إلاّ الموت ، و لا يواظب عليها إلاّ صدّيق أو عابد ، و من قرأها إذا أخذ من مضجعه أمنه اللّه تعالى على نفسه ، و جاره ، و جار جاره ، و الأبيات التي حوله» .[2]

منها : ما روي :

أنّ الصحابة تذاكروا يوماً أفضلَ ما في القرآن ، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : «أين أنتم عن آية الكرسي؟» ثمّ قال : «قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله يا عليّ سيّد البشر آدم ، و سيّد العرب محمّد و لا فخر ، و سيّد الكلام القرآن ، و سيّد القرآن البقرة ، و سيّد البقرة آية الكرسيّ ، يا عليّ إنّ فيها خمسين كلمة ، في كلّ كلمة خمسون بركة» .[3]

منها : ما روي أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلّم قال :

من قرأ آية الكرسيّ مرّة صرف عنه ألف مكروه من مكروهات الدنيا ، و ألف مكروه من مكروهات الآخرة» .[4]

منها : أنّه إذا تأمّلت في المسائل التي يتعلّق بذات اللّه تعالى و صفاته الحقيقيّة و الإضافيّة و أفعاله ، ثمّ نظرت في جميع آيات القرآن لم تجد جملة من هذه المسائل مجموعة في آية واحدة منها إلاّ في هذه الآية الكريمة ، فلهذا قال النبيّ صلى الله عليه و آله : «هي سيّد آيات القرآن» .[5]

---

۱ . الكشاف ، ج۱ ، ص۳۰ ؛ منهج الصادقين ، ج۲ ، ص۹۶

۲ . المعجم الكبير ، ج۸ ، ص۱۱۴ ؛ الكشاف ، ج۱ ، ص۳۰۲

۳ . الكشاف ، ج۱ ، ص۳۰۳ ؛ مجمع البيان ، ج۱ ، ص۱۵۷ ؛ منهج الصادقين ، ج۲ ، ص۹۵

۴ . مجمع البيان ، ج۱ ، ص۱۵۷ ؛ منهج الصادقين ، ج۲ ، ص۹۷

۵ . الدر المنثور ، ج۲ ، ص۱۴

منها: أنّه ـ مع احتوائها على أمّهات مسائل الإلهيّات ـ اشتملت على اسم اللّه الأعظم و هو ﴿**الحيّ القيّوم**﴾، و عن ابن عبّاس ـ رضي اللّه عنه ـ: «أنّ أعظم أسماء اللّه الحيّ القيّوم».[1]

و قد روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال:

«لمّا كان يوم بدر قاتلت، ثمّ جئت إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنظر ماذا يصنع؟ قال: جئت فإذا هو ساجد يقول: يا حيّ يا قيّوم، لا يزيد على ذلک، ثمّ رجعت إلى القتال، ثمّ جئت و هو يقول ذلک، فلا أزال أذهب و أرجع و أنظر إليه و كان لا يزيد على ذلک إلى أن فتح اللّه له».[2]

و لمّا كان لطائف هذه الآية العظيمة و خواصّها بلانهاية، اقتصرتُ في هذه الرسالة على ما ذكر؛ إذ الغرض الأصليّ و المطلب الكلّيّ أن يجعل التوجّه إلى هذه الآية الكريمة التي هي محتوية على اسم اللّه الأعظم، وسيلة لاستجابة دعاء دوام الدولة الباهرة و استدامة السلطنة الظاهرة، خلّد اللّهمّ شموس سلطنته، و أبّد أقمار دولته، و انصر أولياء شوكته، و اخذل أعداء رفعته، و امدد ظلال رأفته على كافّة الأنام، مدى الليالي و الأيّام، بالنبيّ و آله الكرام.

تمّ في اليوم الثامن من شهر ذي الحجّة الحرام من شهور سنة ثلاث و تسعين بعد الألف [من الهجرة]، على مهاجرها ألف ألف الصلاة و السلام إلى يوم القيامة.

---

۱. منهج الصادقين، ج۲، ص۸۸

۲. التفسير الكبير، ج۳، ص۵